ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

حجابة الحُكام الأمويين بالأندلس
في الاحتفالات الرسمية والمناسبات والأعياد
(138-422هـ)/(756-1031م)

د. وهراني قدور

جامعة تلمسان

البريد الإلكتروني : histoire_maghreb@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2016/11/10 تاريخ القبول:2017/02/12

الملخص:

نظرا لما وصلت إليه الدولة الأموية في الأندلس من أبهة وفخامة فقد أعطي لحجابة الحاكم أهمية كبيرة، في الاحتفالات الرسمية والمناسبات الدينية والأعياد وأثناء استقبال وتوديع الجيوش، وكذا تقديم البيعة للحاكم الجديد، دعت إلى تكليف أهم رجال الدولة مؤقتاً واستثناء بمهمة حجب الخليفة أثناء دخول الزوار والمُهنئين. وقد كانت هذه المجالسُ تتطلّب ترتيباً خاصاً، حسب مكانة ومرتبة كل شخص.

الكلمات الدالة:

الدولة الأموية، الأندلس، الحجابة، مراسيم، احتفالات الوزراء.

العنوان بالإنجليزية:

The Hijaba of the Umayyad rulers in Andalusia The Umayyad state, Andalusia, the ministers.

.Abstract:

Due to the splendor and luxury attained by the Umayyad state in al-Andalus, the practice of concealing the ruler behind screens was considered to be of great importance in official celebrations, religious ceremonies, and during the reception and sending-off of armies. When the oath of allegiance was given to a new ruler, the most important men of state were temporarily given the task of shielding the caliph

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

behind curtains during the entry of visitors and well-wishers. These sessions required a special arrangement as each person had his assigned place.

Key words:

Umayyad State, Andalus, al-Hijaba, Ceremonies, Celebrations, Ministers

وصلت الدولة الأموية في عهد الخلافة إلى مستوى من القوة والعظمة فاق ما كانت عليه باقي الدُول المعاصرة لها، ونتيجة لذلك سعى حُكام هذه الدول لكسب ودِّها وصداقتها، «وبعثوا الوفود إلى قرطبة طالبين العون ومُلتمسين الصداقة ومقدمين الطاعة والولاء» [(1)]. حيث يقول المقري: «كان مُلك الناصر بالأندلس في غاية الضَّخامة ورفعة الشأن، وهادنته الروم، وازدلفت إليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والإفرنجة والمجوس وسائر الأمم إلا وفدت عليه خاضعة راغبة، وانصرفت عنه راضية» [(2)].

وقد دعت ضرورة ازدحام قصر الخليفة بالوفود، إلى تكليف أهم رجال الدولة مؤقتا واستثناء بمهمة حجب الخليفة أثناء دخول الزوار والمُهنئين. خاصة إذا كان الخليفة قد جمَّد منصب الحاجب خلال هذه الفترة .كانت هذه المجالسُ تتطلّب ترتيباً خاصاً، فقد وصفه "ابن خلدون" حين يتحدث عن استقبال وفد القسطنطينية قائلاً: «وزُيـن القصر الخلافي بأنواع الزينة وأصناف السُتور، وجُعِلَ السرير الخلافي بمقاعد الأبناء والإخوة والأعمام والقرابة، ورتَب الوزراء و أهل الخدمة في مواقفهم، ودخل الرُّسل فهالهم ما رأوا وقربوا حتى أدَّوا رسالتهم . "[(3)]

تختلف الأمور عندما تتعلّق بحجابة الخليفة "عبد الرحمن الناصر" أثناء استقبال الوفود بعد سنة (320هـ/932م) أي بعد وفاة الحاجب "موسى بن حديـر" [(4)]، وكذلك بعد وفاة "جعفر بن عبد الرحمن"[(5)] الحاجب في عهد "الحَكم المستنصر"، فقد عرف موكب الاستقبال ترتيبا جديداً.

ويتحدث "المقري" عن إحدى صور هذا الاستقبال قائلاً: «ورحل الناصر لدين الله من قصر "الزهراء" إلى قصر "قرطبة" لدخول وفود الروم عليه، فقعد لهم يوم السبت لإحدى عشر ليلة خلت من ربيع الأول من سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة في بهو المجلس الزاهر قعوداً حسناً نبيلاً، وقعد عن يمينه ولي العهد من بنيه "الحَكم" ثم "عبيد الله" ثم "عبد العزيز أبو الأصبغ" ثم "مروان"، وقعد عن يُسْراه "المنذر" ثم "عبد

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

الجبار"، ثم "سليمان"، وحضر الوُزراء على مراتبهم يميناً وشمالاً، ووقف الحُجَّاب من أهل الخدمة من أبناء الوزراء والموالي والوكلاء وغيرهم، فوصل رُسل ملك الروم حائرين ممَا رأوه من بهجة المُلك، وفخامة السلطان، ودفعوا كتاب ملكهم صاحب القسطنطينية»[6]. ويبدو أن الناصر كان يفضل استقبال وفود الدول الأجنبية بقصر "قرطبة" بدل "الزهراء"، وكان يُقدِّم لحجابته ولي عهده "الحَكم"، ثم باقي أبنائه، رغم أنه كان قد أمرهم في وقت سابق بالخروج من قصر الخلافة، والإقامة وسط مدينة "قرطبة"[7]، وكان موقع الوزراء وأهل الخدمة موزعاً على جانبي المجلس على التوازي يميناً وشمالاً .

أما في خلافة "الحَكم المُستنصر" فقد اختلف موكب الاستقبال عمَا كان عليه زمن أبيه، ويصف "ابن حيان" هيئة جلوس هذا الخليفة وحجابته قائلاً: «فلمَا كان شهر رمضان من سنة (360هـ/971م) قعد الخليفة الحكم على السرير قعوداً فخماً كامل الترتيب كأفخم ما جرت به العادة، وقعد الوزراء على مراتبهم، وحجبه منهم عن ذات اليمين الوزير القائد "غالب بن عبد الرحمن"، وتحته الوزير صاحب الحشم "قاسم بن محمد بن طملس"، ومن ذات اليسار الوزير صاحب المدينة بقرطبة "جعفر بن عثمان" وتحته صاحب المدينة بالزهراء "محمد بن أفلح"، فتقدم الرُسل وبين أيديهم هدية "بريل بن شنير"[8] حاكم برشلونة[9] إلى "الحكم المستنصر"» .[10]

ويتَضح جلياً الاختلاف الموجود بين حجابة الخليفة "الناصر" وحجابة "الحَكم" أثناء استقبال الوفود الأجنبية، فقد أعطى الأول الأولوية لأبنائه في الحجابة، ووزَع الوزراء على جانبيه، أما الثاني فقد قدَم الوزراء على غيرهم، فقد حجبه الوزير "غالب بن عبد الرحمن" قائد الجيش على يمينه، وحجبه الوزير "جعفر بن عثمان المُصحفي" أهم رجل في الدولة على يساره.

أما إذا تعدّد وصول الوفود الأجنبية إلى قرطبة فيُقَدَمُ سفراء الدول الإسلامية على غيرهم، ويُقَدَمُ كذلك سُفراء الدول التي كان للأمويين مصلحة معهم قبل الدول التي تبتغي فقط المودة» .وفي يوم الثلاثاء لثمان بقين من ذي الحجة من سنة (362هـ/973م) قعد أمير المؤمنين على السرير بقصر "الزهراء" قعوداً فخماً حافلاً تام الترتيب حسن التهذيب لرسل وفود اكتملوا ببابه شهده الوزراء وحجبه الحُجَّاب، وقُدِم المسلمون في الإذن على غيرهم من رسل النصارى فكان أول من توصل منهم رسل "أبي العافية"[11]، ثم باقي رسل العدوة، ثم أُذن بعدهم لرسل ملوك العجم فتوصل رسل بنبلونة، ثم باقي

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

رسل النصارى» .[12] أما في الاحتفالات الرسمية بعيدي الفطر والأضحى فقد اختلف الأمر، «ففي سنة (360هـ/971م) قعد الخليفة الحكم "المستنصر بالله"، بعد انقضاء صلاة عيد الفطر، لتسليم الجند عليه، في محراب المجلس الشرقي، في مدينة "الزهراء"، قعوداً فخماً شهده طبقات الناس فكان صدر المجلس الإخوة وجنباته الوزراء، وتوسطته أهل المراتب من طبقات أهل الخدمة، وسائره لوجود الموالي وبياض رجال "قرطبة"؛ فقعد الإخوة عن ذات اليمين على الترتيب التالي: الشقيق "أبو الأصبغ عبد العزيز" وتحته "أبو المطرف" وعن ذات اليسار الأصبغ "أبو القاسم"، وقعد الوزراء بعدهم في الجهتين بعد فرجتين على حد جري العادة؛ وحجب الخليفة يومه عن يمينه الوزير صاحب المدينة بـقرطبة "جعفر بن عثمان" وتحته صاحب المدينة بالزهراء "محمد بن الأفلج" مولاه، وعن يساره الوزير صاحب الحشم "محمد بن قاسم بن طملس"، وتحته صاحب الخيل "زياد بن أفلح"، وتلاهم أصحاب الشرطة العليا والوسطى، وسائر طبقات أهل الخدمة على منازلهم» .[13]

وفي سنة (361هـ/972م) «قعد الخليفة المستن صر للتهنئة بمناسبة عيد الفطر على العادة فوق السرير في المجلس الشرقي في السطح العلي، وقامت المراتب والتهيئات والتعبئات في نهاية التمام وجودة النظام، وشهد الإخوة المجلس، وقعد منهم عن ذات اليمين كبيرهم أبو الأصبغ، وقعد عن اليسار "أبو القاسم الأصبغ"، وقعد الوزراء بأثرهم بعد فرجة، وحجب الخليفة عن يمينه صاحب المدينة بقرطبة "جعفر بن عثمان المُصحفي" وتحته الوزير صاحب الشرطة العليا "محمد بن سعد" وتحته صاحب الشرطة الوسطى "محمد بن أبي عامر"، فانتظم الصفَّان بعدهم من طبقات أهل الخدمة على مراتبهم» .[14]

وكان الفاصل بين الإخوة والوزراء فرجة تميز بين مرتبة الإخوة ومرتبة الوزراء، ويُلاحظ الاختلاف الموجود بين مراسيم استقبال الوفود والسفارات الأجنبية ومراسيم الاحتفال بالأعياد في عهد "الحَكم المستنصر"، فقد كان الإخوة في مرتبة أعلى من مرتبة الوزراء؛ وحجب الخليفة كالعادة عن يمينه "جعفر بن عثمان المصحفي" أهم رجل في الدولة أنذاك .

وفي عيد الأضحى من نفس السنة قعد الخليفة "المستنصر بالله" على سرير للتهنئة على العادة، وقعد على مراتبهم المهنئون على مراتبهم، فبعد قعود الإخوة ذات اليمين وذات اليسار، قعد الوزراء

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

على مراتبهم، وحجبه عن ذات اليمين صاحب المدينة بقرطبة "جعفر بن عثمان"، وتحته صاحب الشرطة العليا "محمد بن سعد"، وحجبه عن ذات اليسار صاحب مدينة بالزهراء "محمد بن أفلح" وتحته صاحب الخيل "زياد بن أفلح"، وتقدَمت طبقات أهل الخدمة على مراتبهم بحسب منازلهم للتهنئة، ووصل صفيهم المرسومين بمدهما، من أكابر الفتيان الصقالبة ومن دونهم من طبقاتهم من الجند ما بين ممرات القصر وأفنيته إلى باب السدة، ثم اطَّرد الإذن بالوصول إلى من حضر من أفناء الناس، فتقدمت في أوائلهم رجالات قريش ثم الموالي ثم الحكام وقضاة الكور، ثم الفقهاء وأهل الشورى، وغيرهم والعدول ثم صنوف الحشود والوفود، وظل الخطباء والشعراء خلال ذلك يرتجلون وينشدون» .[15]

وفي عيد الفطر من سنة (362هـ/973م) قعد أمير المؤمنين على سرير الملك وأذن للناس فتوصل أولهم الإخوة وقضوا حقَّ التسليم والتهنئة، ثم قعدوا عن ذات اليمين وعن ذات اليسار ثم قعد الوزراء بعد التسليم على مراتبهم بأثر الإخوة، ووقف على جانبي السرير من اليمين وعن ذات اليسار الفتيان الصقالبة، وكان الحاجب عن ذات اليمين الوزير الكاتب صاحب المدينة بقرطبة "جعفر بن عثمان"، وتحته صاحب الشرطة العليا والحشم، ثم صاحب الشرطة الوسطى والمواريث قاضي "إشبيلية"، والحجاب عن ذات اليسار صاحب الخيل والحشم "زياد بن الأفلح"، وحجبه بعد فرجة طبقات أهل الخدمة على مراتبهم، فلما استقرت هذه المراتب بالقوم، وانتهت حدود كمالها أُذن لطبقات قريش الأقرب فالأقرب، فتقدموا للسلام ثم توصل الموالي، ثم حكام وقضاة الكور، وأهل الشورى وطبقات العلماء والعدول وبياض أهل قرطبة، ثم قبائل البربر من أهل العدوة، ثم طبقات أهل الجند على مراتبهم من الأحرار، والعبيد، فكان يوماً حافل الجمع رفيع القدر جداً».[16]

ويتّضح من خلال النص الأخير ترتيب الدخول على الخليفة للتهنئة فقد كان الإذن أولا للإخوة ثم الوزراء فسائر طبقات أهل الخدمة، فيجلسون إلى جانب الخليفة في تقليد معروف، ثم تدخل قريش على طبقاتها، فالموالي وولاة وقضاة الكور، فالعلماء « ويجلسون في مكان مخصص لهم خارج المجلس الخليفي»[17]، ثم بياض أهل قرطبة، ثم أهل العدوة من البربر، وأخيراً يدخل الجند للتسليم على الخليفة على مراتبهم .

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

ويبدو أن حجابة الخليفة "الحكم المستنصر" عن يمينه يعتبر شرفاً، فقد كان يتولاه دائماً أهم رجل في الدولة، وهو القائد "غالب بن عبد الرحمن"، وينوب عنه إذا غاب الوزير صاحب المدينة "جعفر بن عثمان المصحفي"، أما حجابته عن ذات اليسار فيتولاها ثاني رجل في الدولة، فقد جلس الخليفة لاستقبال وفود زعماء العدوة الخاضعين، فحجبه عن ذات اليمين الوزير القائد "غالب بن عبد الرحمن" وتحته "زياد بن أفلح" صاحب الحشم، وعن ذات اليسار الوزير الكاتب صاحب المدينة "جعفر بن عثمان المصحفي" وتحته صاحب المدينة بالزهراء "محمد بن أفلح" .(18)

وبذلك نستنتج أن ضرورة ازدحام القصر الخليفي بالوفود دعت إلى تكليف أهم رجال الدولة مؤقتاً واستثناءاً بمهمة حجب الخليفة أثناء دخول الزوار والمُهنئين. وقد كانت هذه المجالسُ تتطلّب ترتيباً خاصاً، حسب مكانة ومرتبة كل شخص، والأمر نفسه كان يتكرر في الاحتفالات واستقبال السفراء والضيوف الأجانب والجيوش المنتصرة.

قائمة المصادر:

- ابن الأبار، أبو عبيد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ، الحلة السيراء. تحقيق: حسين مؤنس. القاهرة: دار المعارف. ط2، 1985. ج2، ص233 .
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي ، المقتبس. تحقيق: بيدرو شلميتا وآخرون. مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة وكلية الآداب بالرباط. 1979. القطعة 04.
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس. تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي. بيروت: دار الثقافة. 1965. القطعة 05.
- الحميري، محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: مكتبة لبنان. ط2، 1984.
- الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد ، كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء: دار الكتاب. ط1، 1997. ج1.

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

- ابن أبي الزرع، أبو الحسن علي الفاسي ، الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور. الرباط: المطبعة الملكية، ط2، 1420هـ/1999م.
- ابن كردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري، تاريخ الأندلس (الإكتفاء في تاريخ الخلفاء) مدريد: المعهد المصري للدراسات الإسلامية. سنة 56-1966. مج13.
- ابن سعيد، المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق:د. شوقي ضيف. ط02، القاهرة: دار المعارف، 1963. جـ1.
- ابن عذاري، المراكشي، البيان المغرب في أخبـار المغرب. بيروت: مكتبة صادر، د.ت، ج2، ص313.
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي ، المقتبس. تحقيق: بيدرو شلميتا وآخرون. مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة وكلية الآداب بالرباط. 1979. القطعة 04.
- المقري، أحمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرهـا لسان الدين ابن الخطيب. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، (1408هـ/1988م). ج01.
- ابن خلدون، عبد الرحمن أبو زيد ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1،بيروت: دار الكتب العلمية،1992، ج4، ص171.

المراجع:

- عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي (من الفتح حتى سقوط غرناطة)، دمشق، بيروت: دار القلم، المنارة. ط3، 1407هـ/ 1987م.

الهوامش:

(1) عبد الرحمن علي، الحجي، التاريخ الأندلسي (من الفتح حتى سقوط غرناطة)، دمشق، بيروت: دار القلم، المنارة. ط3، 1407هـ/ 1987م، ص302.

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

(2) أحمد بن محمد التلمساني، المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، (1408هـ/1988م). ج01، ص366.

(3) عبد الرحمن أبو زيد ،بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1 ،بيروت: دار الكتب العلمية، 1992، ج4، ص171.

(4) أبو عبيد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، ابن الأبار ، الحلة السيراء. تحقيق: حسين مؤنس. القاهرة: دار المعارف. ط2، 1985. ج2، ص233. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب. بيروت: مكتبة صادر، د.ت، ج2، ص313.

(5) يُجهل تاريخ وفاة الحاجب"جعفر بن عبد الرحمن الصقلبي" لأن المصادر التاريخية تخلو من ذكر تاريخ محدد لذلك.

(6) المقري، المصدر السابق، ج1، ص367.

(7) كل ما يخص أسماء وأخبار أبناء الناصر، ثم خروجهم من قصر الخلافة، أُنظر: أبو مروان حيان بن خلف القرطبي ابن حيان، المقتبس. تحقيق: بيدرو شلميتا وآخرون. مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة وكلية الآداب بالرباط. 1979. القطعة 04، ص ص14–20.

(8) بريلBorrel بن شنيرSunier حاكم إمارة برشلونة بين عامي (343هـ/954م) و(382هـ/992م). ابن حيان، المقتبس، ق05، ص20، هامش1. ابن كردبوس أبو مروان عبد الملك التوزري، تاريخ الأندلس (الإكتفاء في تاريخ الخلفاء) مدريد: المعهد المصري للدراسات الإسلامية. سنة 56–1966. مج13. ص64

(9) برشلونة Barcelona مدينة على البحر، بينها وبين طركونة خمسون ميلاً، لها ربض وعليها سور منيع. ، محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: مكتبة لبنان. ط2، 1984. ص86، 87.

(10) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق:د. شوقي ضيف. ط02، القاهرة: دار المعارف، 1963. جـ1، ص46

(11) كان موسى بن أبي العافية صاحب بلاد تازا، وكبير مكناسة بالمغرب الأقصى على الإطلاق وكان قد خدم مصالة بن حبوس حين قدم المغرب وتعرف إليه وهاداه وقاتل معه في جميع حروبه بالمغرب فحسنت منزلته لديه وولاه بلاد المغرب كلها عدى فاس. أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء: دار الكتاب. ط1، 1997. ج1، ص238. أبو الحسن علي الفاسي ابن أبي الزرع، الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور. الرباط: المطبعة الملكية، ط2، 1420هـ/1999م، ص ص100–105.

ISSN : 1112-945X
E- ISSN : 2571-9742
DM, LREOCMI

(12) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس. تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي. بيروت: دار الثقافة. 1965. القطعة 05، ص138.

(13) ابن حيان، المقتبس، ق05. ص ص28–30.

(14) نفسه، ص81.

(15) ابن حيان، المقتبس، ق05. ص93، 94.

(16) نفسه ، ص119.

(17) ابن حيان، المقتبس، ق05، ص120.

(18) نفسه. ص198.